

# القصص

من أساطير الاغريق

## بجماليون المثال

أسطورة الفنان الذي عسى امر تماثيل

للأستاذ دريني خشبة

في مدينة أملايس ، الزائدة كالمحل بين مهاوى الجبال على شاطئ قبرص الجنوبي ، كان يعيش المثال بجماليون عيشة كلها عزوف عن العالم ، وانزواء عن مشاغل الحياة ، وهرب من الناس . كان يأوي الى تمثله إذا تنفس الصباح ، ويكب على عمله حتى توارى الشمس بالحجاب ، فيأوي الى فراشه ، سادر النفس ، معمود القلب ، مكتئباً حزينا

ولم يكن حزنه من نوع هذه الأحزان التي تتعارفها قلوب أبناء آدم ، بل كانت حزناً فريداً في نوعه ، غريباً في أسبابه ، شاذاً في دواعيه ، حتى لنحسب أن أحداً من الناس لم يشق بمثله من قبل . . . . ولا من بعد

كان في بجماليون صرد عن الناس شديد ، لايرام جديرين بتودد ، ولا حفيين بمؤاخاة . ومع أنه كان يضيق من عبقرته على تماثيل الآلهة التي طالما تفتنت فيها يده الصانع ، فكان يخرجها على نسق الفائنات الحسان ، وفي صمت الفيد القيان ، فانه لم يصبُ مرة إلى امرأة ، ولم ترتبط أسبابه بفتاة . فكانه كان يسمو بحبه على النساء ، وإن كن في الحقيقة صاحبات وحيه ، وفيض نبوغه ، والسمع الخاطفة التي يتجه شطرها مثله الأعلى

ولم تكن هذه الحياة الصحراوية التي يحياها لترضيه ، ولاتلك المعيشة الآلية التي أغطشت أيامه لتفتح خياله الخصب ، وقلبه الرحب . لقد كان يقف منقبض الصدر ، مغلول الروح ، أمام

هذه الذئبي الصامته ، والتماثيل الخرساء ، التي صنعها لأبوللو ، وميزرقا ، وديانا ، وكوييد ، وقلكان ، ولقد كانت الناحت والأزاميل ، والثاقب . والناشير ، والبارد والناعم ، وكل عدده تثير في نفسه السخط على الحياة ، والبرم بالأيام ، كما فكر في حاله فعلم أنه يحيا بلا حب ، ويميش بلا أمل ، ويعمل بلا غرض ، ويسى الى غير مطمح !

وبينا هو في يقظته النائمة هذه ، إذا بحجارين يحملون رخامة كبيرة ، على جرارة ضخمة من هذه الجرارات الثقال ، التي ترى كثيراً في محاجر اليونان ، يقفون أمام المثل ، ويطرقون باب بجماليون ، فينقدم بمن الرخامة ، وينصرفون كل إلى طيسته . وكأما كانت هذه الرخامة ، على ثقلها الهائل ، وحياء خفيفاً من السماء ، أو آية من آيات الأولي ، هبطت على هذا المثال المهموم ، فبدلت بأسه أملاً ، وقنوطه المظلم رجاء نير الآفاق ! فانه لينظر اليها نظرات تشف عن التمثال الرائع الذي سيولده منها ، وإنه لينزع ملابسه ، ويضيق عليه ملابس العمل ، ثم يتناول إزميله ومنحته ، ويهوى على الرخامة مستلهماً الحول والقوة من : « فينوس ! »

« يا فينوس الجميلة ، ياربة الحسن والحب ، يا من تسبح لك القلوب العاشقة ، وتلهج بأسمك النفوس الرواقية ، يا سر الورد الجميل ، وبسمة الفن الضاحك ! يا أم كوييد الحالم ، وبنت ديون<sup>(١)</sup> الباسمة ، يا فينوس الجميلة ، العون العون يا فينوس ! » وهكذا لبث هنيهة يصلي ، ثم أخذ في عمله ، وكان فكرة علوية نزلت على فؤاده ، وامترجت بشغاف قلبه ، فراح يصورها ويمثلها ، في هذه الرخامة النقية كالندف ، البيضاء كالثلج . بل كأنما استجابت فينوس ربة الحب لصلاته ، فأودعت في يده نفحاتها المباركة . فادق دقة ، أو نقر نقرة ، إلا وتعتل فينوس الجميلة أمامه ، تاذراً لها هذا التمثال ، برغم التماثيل البارعة التي نحتم لها ، والتي تملأ معابد اليونان وأقداسهم

(١) في الميثولوجية اليونانية أن زيوس كبير الآلهة كان متزوجاً ، وزير . . . ربات . فن زوجاته ديون التي أولدها فينوس .

على يجاليلون المسكين؟ آه فينوس! النجدة يا فينوس! أنا لا أصلي  
إلا لك يا فينوس... العوث العوث!...»  
وظل المسكين مكباً على هذه الدمية التي صورها بقلبه كله،  
وروحه جميعها، يشكو إليها كأنها تسمعه، ويثبث كأنها تصني  
إليه؛ ثم انتهى حاله إلى هيام شديد، وحب ودفن، ولوعة  
وصبا؛ وانقلب عشقه المبرح إلى لون كاسف من الوجد،  
وضرب شديد من أمر ضروب الحزن؛ مصدره العقل الخائر  
والوجدان المضطرب. إذ كيف يمشق هذه الكتلة المجسمة من  
الرخام، وهي مما صنعت يداه؟ وأي أمل له في هذا المشق الشاذ؟  
لا ريب أنه ضرب من الجنون، ماله من ضريب!

ولج به هواه، فأحضر عصابة من الخمالين الأقوياء، نقلوا له  
تمثاله إلى ردهة الآلهة - كما كان يسميها - وهي صالة واسعة  
في الطابق الثاني من البناء الذي فيه ممثله؛ وقصد إلى أمر الصاغة  
وتجار اللآلئ، فاشتري ما وسعه من الحلي الباقية والجواهر  
النفيسة؛ وعاد فقرط الأذن، وقلد الجيد، وتوج الرأس؛ ثم هام  
في الروج الخض، والحدايق النشاء، يجمع الورود والياحين،  
كبا ينثرها تحت قدمي التمثال!

وتحولت الردهة إلى معبد من معابد البوذية المقدسة، بما  
عكف بحرقه من مقتني الند، وفواح الرند، في مباحر المرمر  
الجميل المصقفة حول قاعدة التمثال

وتلف تلفاً شديداً من هذا الغرام العجيب، فلم يكن يكتفي  
بالعبادة في الحب والخبوت بين يدي ذلك الصنم المنتصب للفتنة،  
بل كان يشركه في كل أمره، ويمرض عليه جميع شأنه، حتى  
القرارة؛ فظالما كان ينشده من دواوين الشعراء ماجادت به القرائح  
وشدت به الألسن، وتفتت بألحانه قلوب الماشقين!

معدور يجاليلون! لقد تمب وراء الحب، ولكنه لم يلق  
هذه النيداء الفاتنة، التي تستطيع التسلط على مشاعره، والهيمنة  
على قواده، وكان يتخيّل روعة الجمال فلا يجدها مجتمعة إلا في  
هذا التمثال الذي نحت له هذه الأنثى، فمبده، وراح يتبني على الآلهة  
الأماني، أن تنفخ فيه روحها، وأن تهبه الحياة ونعمة العيش

\*\*\*

وبينا هو نائم في هدأة فجر اليوم التالي، إذا به يصحو فجأة  
على لقط شديد، وهرج عال في الشارع الذي يقع فيه بيته.  
فينفض إلى النافذة، ويرفع الستر، ويفتح أحد المصاريع قليلاً،  
ثم يحني رأسه ليرى. وإذا موكب زاخر من غوزاء المدينة يحمل

وأقبل على عمله بروح جديدة، ويد لا تكمل، فلم يكن يحول  
بينه وبينه إلا الليل رخى سدوله، وإلا سنة من النوم ترقص  
في جفنيه، فإذا نام تنابعت الرؤى، وتلاحقت الأحلام، كل  
منها يبدى له ناحية كان يجملها من جمال فينوس!

ولقد بداه، كفتان، أن يروح عن نفسه بيوم يقضيه في  
الأذغال، وبين مسارب المياه، لكي يجدد نشاطه، ويتتم ما  
خمل من ذهنه، وخبا من خياله، لطول ما أكب على العمل؛  
فانطلق ذات صباح إلى سيف البحر بناجى أبولو، وهو يوقظ  
الشمس من خدرها، فتعلو به في مركبتها الذهبية فوق الأنياب؛  
وظل يبلو ويهبط، وروح من هنا غادياً إلى هناك، حتى شارف  
اليوم أن ينتهي، وعاوده هواه الملح، فقدم على ما قتل من  
ساعات في هذه الراحة الخاملة، والفسحة الباطلة، فماد أدرجه  
إلى المثل، مستغفراً في طريقه الطويل فينوس!

ووصل ما انقطع من صنعه، فكان يستذكر أحلامه ليضيفها  
على التمثال، ويستوحى السماء فتلهمه من أديمها الصافي، وتشييع  
في يديه وقلبه بطهرها وثقائها، لتنتقل من ثمة سحراً وفتنة فوق  
تلك العضلة، وتحت ذبائك الأبط، وبين انفراج هذين التدين،  
وبالقرب من العكن، وحول الفخذين، وعند هذا الأنف  
الأعرجي الأشم، وملء ذلك الذقن اللدقيق، والعنق الرقيق،  
ولفتة الحدقتين، وانفراجة الشفتين، وتبسم الثغر، وتكويم  
الشعر، وتعليق الردف، وتدوير الكعبين.....  
وتباركت يا فينوس!

لكن يجاليلون يحس الحياة تسيل من أزميله الحنون، فوق  
هذا الجوهر الكنون! وكان يتقدم فينظر، ويتأخر فيرى،  
ويحيل من هنا، ويتبني هناك، ثم يهبط إلى علو، وينحني إلى  
أسفل؛ ليتفقد التمثال من جميع نواحيه؛ فإذا رأى؟ لقد استطيع  
من الفرح، ومادت أعطافه من الخيلاء؛ ولكنه سكن قليلاً،  
وانطلق يتحدث إلى نفسه: «ويحي! لم صنعتك أبها التمثال،  
مادمت قد بلغت هذا الجمال ولا تتكلم؟ أنا يجاليلون الشمس،  
الذي يعيش في هذا العالم القفر، وعلى هامش تلك الدنيا الجديدة،  
لا أنيس لي، ولا قلب ينبض بحبي، فينبض قلبي بحبه؛ ولا نفس  
تصلي لي، فأبلي من أجلها! تكلم أبها الرخام الصامت، وانفراجاً  
بكلمة واحدة أبها الشفتان الساخرتان! أنا يجاليلون! أنا صنمك  
أبها الأنثى المتحجرة... تكلمي، ردى علي، فوحق فينوس  
المبودة لقد أودعتك سر روحي، ولنز حياتي! أوه! ألا تردين

حنانيك ياربة الحب ، وجارة القلوب الكسيرة ، والنفوس الحائرة !

أنت ، من غير ريب ، تعلين ما ألم بي من رح هذا الهوى الطارى ، وما تام قلبي من حب هذه الدمية التي صنعها باسمك ، ونذرتها لك ، فدهنتني ، وشدهت روعي المبللة ، وصارت لي أعذب الأمانى وأعز الآمال . وهي بمد رخامة لاروح فيها ولا نامة ، أكلها فما ترد ، وأناجها فما تجيب ، وأغني لها فما تبسم ! أنت قديرة يا فينوس ! فانفخي فيها من روحك ، وانشري الحياة في أركانها ، وامنحها النبضات والأنفاس

حنانيك يا فينوس ! وسلام لك من قلوب الماشقين !

وما كادت صلواته تنتهي ، حتى أنهر الدمع من عينيه يروي قدسي التمثال المنتصب في المحراب . فانبث الشرر عالياً من المحرقة حتى أضاء قبة الهيكل ، والتمع في جميع أرجائه ، وأقبل الكهنة والمصلون يباركون يمجليون ويهنتونه . لأن انبثاث الشرر هكذا ، عقب الصلاة ، هر في اعتقادهم دليل رضى الرب ، وآية نليتها واستجابتها !

ولكن مثالي لم يشعر بقلبه بتأنج ، ولا بتغسه تهدأ ، بل بالعكس ، أحس كأنما الحياة تتدجى أكثر من قبل ، وبحلوك كل شئ في عينيه ، وشعر كذلك بقنوط قاتل ينفذ إلى صميمه ، فيطلق فيه مارجتي من الآمال البيض ، والأمانى العذاب ! فتعثر إلى الباب غير آبه لما حوله من الآس النضود في أنحاء المعبد ، والزهر البشوث في صحته الرحيب . وما برح بين وني وبطاء ، حتى بلغ باب منزله ، فوجد متساقطاً على نفسه ، وانبطح على أول سلايم الدرج لا يحس ولا يبى !

\*\*\*

وغفا إغفاءة مريضة ، فبداله أن يحمل إرزبة هائلة ، يهوى بها على رؤوس الدثني ، ويحطم بها التماثيل المنتشرة في ردهة الآلهة . . . إلا تمثال فينوس الجديد ، المرصع باللالى واليواقيت ! ففزع فزعة مروعة ، ونهض يمدو إلى الصالة ، يتفقد التماثيل . . . فدارعه إلا أن يسمع صوتاً رقيقاً بناديه : « يمجليون . . . يمجليون . . . إرق إلى هنا . . . هلم إلى ! » من ؟ صوت من هذا ؟ إنه صوت مرمضى لا عهد ليجاليون به ! !

وقفز فزرات كان بهاني الطابق الثاني ؛ ونظر فلم يجد تمثاله الحبيب في المكان الذي غادره فيه . . . « أين ؟ وبجي ! لصوص ! »

تمثالاً كبيراً من تماثيل فينوس التي صنعها يمجليون ؛ وإذا الدهاء ينشدون الأناشيد الشمسية ، ويرسلون في غبشة الصبح أعانهم ( البرجوازية ) الجميلة . . . وكان من عادة سكان أماديس أن يحتفلوا بالربة فينوس ثلاثة احتفالات يفاجئون بها الناعمين ثلاث مرات كل سنة ؛ فلما عرف يمجليون أن الحفل حفل فينوس ، أسرع فارتدى أبهى ملابسه ، وجمع بمض باقات الزهور المبعثرة تحت قدمي تمثاله ، وهروول على الدرج ، ثم انفتل في الشارع ، واندمج في صميم الشعب الذي يلهج بالصلوات والأدعية باسم فينوس . ثم ما هي إلا هنيهة ، حتى كان يمجليون يهتف كما يهتف الأطفال والشذج ، ويردد من الصلوات ما يرددون

ولم لا ؟ هل لحظة من الزمان هي خير من هدأة الفجر ترسل فيها الصلوات على أول آراد الصباح ، إلى آلهة السماء ، وأرباب الأوب ، فتسمع وتلبى ؟

وكان كل هم أن ينتهي هذا الحشد الهائل إلى المعبد ، حيث يستطيع أن يرتل دعاءه ، ويتمم بصلاته

وقد تنظر حتى فرغ الكهنة من جميع الطقوس التي اعتادوا أن يقوموا بها في مثل ذلك اليوم ؛ وأخذت الجماهير تنصرف هاشة مستبشرة ، كأنما غمرتهم نفحات خالدة من فينوس . ولما لم يبق في المعبد إلا كهنته ، وأفراد من الأتقياء الصالحين ، يصلون صلواتهم ، ويمغمون بأدعيتهم ، تقدم يمجليون في روعة التقى وخشوع الورع ، ووقف خائباً أمام المذبح ، حيث تصاعد ألسنة البخور المطر ، حاملة الأراج الشذي من لهب المحرقة إلى السقف . . . والسجف ، فتكسب الهيكل جوه القدسي البديع . ثم ألقى في اللب بمحفنة من فئت الكافور والمسك ، وطقق يرتل هذا الدعاء الطويل : « فينوس الكريمة البارة ، ياربة الحب الطاهر ، والهوى البري ، أيتها القديرة على كل شئ ، المتصرفة في جدود الماشقين ، وحظوظ المدنفين : إصني إلى ، ولا ترفضى دعائى : منذ اهتديت إليك ، وأنا عبدك القانت لك ، ألهاتف باسمك في القدر ، المصلى لك في الآمال ؛ لا أني عن ذكرك ، ولا يفتر لساني عن التسبيح لك ، والنسك من أجلك ؛ باسمك أقبل على فنى ، ومنك أستلهم وحى المبقرية ، فأنت لي كل شئ ، ولقد أيقظتني صلوات الشعب لك من أحلامى الجميلة بك ، فلم أطلع ولم أستكبر ، بل هرعت إليك ، أوصل بك ، وأتمس البركات منك ، حنانيك يا فينوس !

فينوس تقول لى . . . « تعالى . . . تعالى ، وكونى ربة هذا البيت . احبيه واحرسيه ، وانشرى السعادة فيه ! ! هلمى الى ألقنك دروس المحبة والحياة . . . » ثم إنها نفتت فى أذنى نفتات تعلمت بها هذه الكلمات . وأسبغت على هذا النوب الحريرى الذى لا بد قد رأيتنه على تماثلها فى الهيكل . . . ليشهد لك أنها هى التى منحتنى الحياة . . . ومنحتك الحب ! «  
- « وماذا ؟ وماذا يا حبيبتى جالاتيا ؟ »

- « ثم تقدمت لى فنوتلى قبلة مشهاة لى أنسى ما حبيت أسرها . ودعت لى ذلك بالوفاق الأبدى ، والاخلاص السرمدى ، لنكون آية السماء فى هذه الأرجاء ! وابتسمت ابتسامة أرق من إبطاقه أوراق الورد ، ولم أعد أراها . . . »  
وأعت جالاتيا حديثها ، فاستقر بيجاليون فى أحضانها !  
ربى منبته

ولكن الصوت الرقيق الرنان عاد يطن . . . ويرن « لا . . . ولكنها فينوس ! » والتفت بيجاليون فرأى عادة هيفاء فى طبق تماثل ونسجه ، متكئة على الأريكة التى طالما وضعها أمام التمثال وأنشد الأسمار ؟ !

« من أنت أيتها المعبودة ؟ »  
« لست معبودة ، ولكنى هبة فينوس لك ! أنا جالاتيا . . . تماثلك المكنون ! »

« وكيف ؟ أنا لا أصدق . هذه خديمة لاشك ! »  
« وكيف تخدعك السماء بيجاليون ؟ أريد أن تكفر بآلاء فينوس ؟ »

« لا . . . لا . . . لا أريد أن أكفر . . . وحشاشى . . . ولكن كيف حررت أنسية ، ومن وهبك الحياة ! »  
« هذا سر فينوس . وهذه قبلاتك ماتزال مطبوعة على قدسى ! »  
« يا للسعادة ! »

« انظر الى هاتين الشفتين القرمزيتين ، وهذين الخدين الورديين ، وتينك العينين الزرقاوين . هل استطعت أن تموه تماثلك بهذه الأصباغ الفينوسية ؟ »  
« وانظر الى الأنفاس الحارة التى تتردد فى صدرى ، هل وسمك مرة أن تبمها فى إحدى دُمائك ؟ »  
« حاشا . حاشا »

« إذن فهل الى أحدثك حديثى »  
( فدنا منها بيجاليون الشده )  
- « بيجاليون ! لقد استجابت فينوس دعائك ، وقبلت صلاتك ، وحضرت الى هنا إذ كنت أنت فى الهيكل تبكى وتتحب ، فمنحتنى الحياة ، وعلمتني من العلم ما لم أكن أعلم  
- « ولكن كيف بحق فينوس عليك يا جالاتيا »

- « كنت منتصبه كما وضعتنى على تلك القاعدة الناصمة ، فأحسست حدقتى تتحركان ، وإذا بى أرى فينوس الجميلة أمامى ، تأمرنى أن أدلف نحوها ، ففعلت ، وكنت أحس كأن ثلجاً ينفذ من كيانى ، وأن حرارة تشيع فى أركانى ، وكانت

## النيل

### يشق البحار

علم مصر الخفاق يرف على باخرتك المصرية الصميعة

## النيل

### شركة مصر للملاحة البحرية

أعدتها لكم بأوفر أسباب الراحة والرفاهية

صالونات فخمة - قررات فاخرة (Lux) بجمامات وصالونات خاصة

تليفونات اتوماتيكية - مطبخ راق - جراج للسيارات

أجور السفر فى الصيف من الاسكندرية الى جنوا أو مرسيليا على السواء

١٦ جنبا للدرجة الأولى - ١٢ جنبا للدرجة الثانية - ٨ جنبا للدرجة الثالثة

تخفيض فى تذكار الذهب والاياب ، وتخفيض مخصوص لتذكار العائلات ، ولحضرات موظفى الحكومة

رحلات منتظمة كل أسبوعين ( يوم الخميس ) من الاسكندرية

ابتداء من يوم الخميس ٢٣ مايو سنة ١٩٣٥

احجزوا محلاتكم من الآن . خابروا المركز الرئيسى للشركة

بعمارة بنك مصر بالقاهرة - وفرعها بالاسكندرية بشارع فؤاد

ومكاتب مصر للسياحة ومحلات كوك ومكاتب السياحة الأخرى